المسرح الجزائري المدرسي بين الترفيه واكتساب المعرفة
قراءة في نماذج مسرحيّة للأستاذ سريو بوجمعة

Algerian School Theatre Between Entertainment and KnowledgeAcquisition. Reading Theatrical Models of Mouloud Mammeri

محمد الأمين مصدق[1] Mohamed elamine Mesadek

جامعة بسكرة– الجزائر manogoodman@gmail.com

تاريخ الإرسال:13-02-2019 تاريخ القبول: 03-03-2019 تاريخ النشر : 31-01-2020

ملخّص: مدار هذه الدّراسة قراءة في نصوص من المسرح المدرسيّ الجزائري كتبها الأستاذ "سيريو بوجمعة" بعدّها أنموذجا واعدًا، من أجل التنويه من جهة بالأهميّة البالغة التي يحتلها هذا النوع من المسرح؛ إذ إنّه يعدّ وسيلة لنقل الأفكار إلى النشء، وتهذيب سلوكياتهم، ومعالجة القضايا التي تهمّهم، وتوجيههم نحو طريق الصواب، وتلقينهم فنون الأداء والإلقاء، فضلا على تنشيطهم وتسليتهم والترفيه عنهم. وكذلك التنبيه من جهة أخرى إلى ضرورة تفعيل مثل هذه المسرحيّات على خشبة الواقع وعدم تركها حبيسة الأوراق حتى تحقّق الفائدة المرجوّة منها.

كلمات مفتاحيّة: المسرح المدرسي الجزائري؛ الترفيه؛ اكتساب المعرفة.

Abstract: Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

The orbit of this study is a reading within a texts from the Algerian school theater which written by mr Serio Boudjema, because it is a promising model, in order to emphasize on the one hand the importance of this kind of theaters; because it is a way to convey ideas to children, and improve their behaviors and address issues that concern them , And guide them towards the right path, and teach them the arts of performance, as well as to stimulate and entertain them. As well as the alert on the other hand to the need to activate such plays on the fact ground and do not leave it chained on the papers to achieve the desired benefit.

Keywords : Algerian school theater ; Entertain ; Gain knowledge

[1]- المؤلف المرسل: محمد الأمين مصدق، الإيميل: **manogoodman@gmail.com**

–**مقدّمة:** المسرح أحد الفنون الأدائية الأدبيّة التي تعتمد أساسا على ترسيخ الأفكار في ذهن الجمهور، فهو ليس وسيلة للترفيه والمتعة فحسب؛ بل يعدُّ مؤسسة تربوية تهمّ جميع الطبقات الاجتماعية، ويسعى إلى إحياء التراث والماضي، بصورة تتناسب مع مطامح الجمهور من جهة، كما يعمل على بث الوعي والنهضة الاجتماعيّة والسياسية والفكريّة والعلميّة من جهة أخرى.[1]

ويعدّ مسرح الطفل أحد الفنون التي نشأت حديثا في الأدب الجزائري؛ حيث تعود بداياته الفعلية إلى سنة 1986، وما تزال تخطو الجزائر فيه خطوات حثيثة من أجل مضارعة الدول الرائدة فيه، ويضمّ هذا الفن تحت لوائه أنواعا عديدة منها: المسرح المدرسي الذي سنحاول تسليط الضوء على أهميته البالغة في تثقيف الناشئة وتنمية قدراتهم من خلال مجموعة مسرحيات قصيرة للأستاذ سريو بوجمعة.

1–المسرح المدرسي: يعدّ المسرح المدرسي أحد أهمّ الوسائل التعليمية التي تتم عن طريق السمع والبصر، وترفض الورق كوسيلة للتعلم والتذوّق.[2] ويحتل مسرح المناهج المرتبة الأولى في المسرح المدرسي؛ إذ يقوم الأطفال بتمثيل مواد منهجيّة ممسرحة؛ وذلك لتبسيط المواد العلميّة وتعميق أثرها في النّفوس، عن طريق البهجة التي يمنحها العمل المدرسي.[3]

وانطلاقا مما سبق يعرّفه الدكتور محمّد خضر بأنّه: «لون من ألوان النشاط الذي يؤديه الطلاب في مدارسهم تحت إشراف معلميهم داخل الفصل أو خارج الفصل في صالة المسرح المدرسي وعلى خشبته...أو خارج الصالة في حديقة المدرسة أو مساحتها».[4]

بينما يعرّفه عيسى عمراني بأنّه: «المسرح الذي يقوم داخل مبنى المدرسة سواء في قاعة خاصة، أو في حجرة الدراسة أو في الفناء، ويتميز بأنّ الممثلين، أو

اللاعبين فيه والمشـــاهدين أيضـــا هم جميعا من الأطفال».[5] ويرى محمد إســـماعيل الجاويش أنّ المسرح المدرسي هو: «مسرح تربوي يعني الترويح والتسلية، ولكنه يهتم بالجانب التعليمي، كما أنه يهتم ببث القيم التربوية والمبادئ الكريمة، والميول الطيبة، في نفوس الناشئة».[6]

وإذا كان المسرح المدرسي يقترب كثيرا من المسرح كفن من الفنون الأساسية التي عرفها ومارســها الإنســان منذ عهود قديمة؛ إلا أنّ المســرح المدرســي يحتفظ بفلســفة وبسط وأهداف تتناسب وطبيعته ووظيفته الأساسيّة.[7]

2-نشأة المسرح المدرسي: بدايات هذا الفنّ قديمة جدّا تعود إلى الإنسان البدائي الذي كان يمثل الأحداث التي تقع له في صراعه اليومي مع الطبيعة وخاصة مع الحيوانات التي تعيش في بيئته،[8] كما ظهرت في مجتمع الزراعة طقوس تمثيلية تمثل الاحتفالات بالزراعة إلى جوار الطقوس الدينية التي تمثل العبادة مثل مسرحية أوزيس وأوزيسيوس[9]وفي العهد الإغريقي انتقل الفن المسرحي من مصر إلى اليونان؛ حيث نما كفن شعبي في المعابد، مثل مسرحية ديمتر.[10] كما ظهر هذا الفن في العصور الوسطى حين استخدمته الكنيسة وسيلة للتعريف بالموضوعات الدينية[11] .

وفي العصـــر الحديث انتشـــر المســـرح على الصـــعيد الأوروبي، ثم دخل العالم العربي عن طريق مارون النقاش، وكانت بداياته تعليمية الطابع. وجاءت انطلاقة مســـــرح الطفل متأخرة في الجزائر، وتميّز بكثرة الانقطاعات والتذبذبات،[12] ومرّ بمرحلتين: قبل الاستقلال وبعد الاستقلال؛ حيث أصبح في هذه الأخيرة أكثر نضجا مما كان عليه ســـابقا، بفضـــل مجموعة من الكتّاب والأدباء الذين ســـعوا إلى الرقي بالنصّ المسرحي وجعله يعبّر عن تطلّعات الشّعب الجزائري.

3–أهدافه: يسعى كثير من كتّاب مسرح الطفل إلى خلق تجربة مسرحية تعمل على تنمية ثقافة الطفل، وتوسيع مداركه، بتقديم المادة التّعليمية الخاصة بموضوع معيّن في جو يجمع بين التسلية والمتعة، والتّعليم، فمثل هذه الأعمال المسرحية تؤثّر في الطفل تأثيرا إيجابيا وتعمل على سهولة تلقيه للمعلومات، فتيسّر استيعابه للمادة العلمية الموجّهة إليه، وفي كثير من الأحيان، يستعين كاتب مسرح الطفل خلال تقديمه للمادة العلمية بالخيال الذي يعدّ أحد أهمّ عناصر تشويق الطفل، وجذب اهتمامه للعمل المسرحي، ويشعره بالرّغبة في المتابعة، فيتلقى الطفل عبر المسرحية المادة التعليمية دون ضغط، أو إكراه، ودون أن يشعر بالضيق، أو الملل[13]

ويمكن التّأكيد على مجموعة من الأهداف البارزة للمسرح المدرسي، ونحن نسعى إلى إنشاء حركة مسرحية قوية قادرة وفعالة من أبرزها:[14]

1–غرس كثير من القيم الأخلاقية والإنسانية والدينية، وغرس قيم العمل الاجتماعي والجماعي في نفوس الأبناء.

2–تنمية الإحساس بالجمال وتهذيب المشاعر والعواطف عند الأبناء، وإكسابهم القدرة على التعبير من خلال إثراء حصيلتهم اللغوية، وتعديل مخارج الألفاظ والتدريب على الإلقاء الجيّد.

3–تدريب الأبناء على التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم وانفعالاتهم وفكرهم من خلال التّعبير بالصّوت أو عن طريق قسمات الوجه، أو الإشارة أو الإيماءة، وكذلك تنمية روح الفكاهة وطرافة النكتة عند الأبناء.

4–التّوعية بقضايا المجتمع والمساهمة في اقتراح المواقف المناسبة نحوها، والتعرف على الحضارات وثقافات الشعوب الأخرى من خلال نقل أعمالهم المسرحية والتعرّف من خلالها على طبائع هذه الشّعوب وعاداتهم وقيمتهم وتقاليدهم.

5-تعريف الأبناء بالمسرح كفن إنساني متميز قائم على فكر ونظريات هندسية ومعرفة أجزائه ومحتوياته، وإكسابهم قيم المشاهدة للأعمال المسرحية وآدابها، والربط بين الفنون التي تتعلق بالمسرح.

6-تنمية مواهبهم وقدراتهم في مجالات مختلفة، كالكتابة المسرحية، أو الإعداد المسرحي، أو النّقد أو التّمثيل أو الإخراج أو أعمال المعاونة. وتدريبهم على الاشتراك ضمن فريق عمل لاستثمار أوقات فراغهم.

الدّراسة التطبيقيّة: المسرحيات التي نحن بصدد دراستها هي أحد الأعمال الفائزة مسابقة المسرح التي نظّمها المجلس الأعلى للغة العربيّة عام 2009.[15] وقد استهل الكاتب سريو بوجمعة مسرحياته بالحديث عن أهميّة المسرح المدرسي بقوله: "إنّ المسرح المدرسي أصبح نشاطا هاما في الوسط المدرسي؛ نظرا لما فيه من أهداف في صقل مواهبه، وما له من نتائج نستخلصها من خلال اكتساب المهارات والترفيه، وغرس الأحداث التاريخية الهامة في شخصيته من مناسبات وطنية أو دينيّة، وتحسيسه بفضائل الأعمال وحسن المعاملة، وما توحيه من غايات يحاول المؤطرون توصيلها إليه".[16]

ثم عرض لجملة من الأهداف التي يصبو هذا الصنف من الأعمال المسرحية إلى تحقيقها، ومن أهمهما: تعويد التلميذ على التعبير التلقائي، وإكساب التلميذ القدرة على التعبير الصحيح والفصيح، وصقل مواهبه وتوجيهها، وغرس القدوة في نفوس التلاميذ، وخلق جو تنافسي بينهم، وتمكينهم من الشجاعة الأدبية، وتحفيزهم على أداء الأدوار المنوطة بهم، وترسيخ المناسبات الدينية والوطنية في نفوس التلاميذ.[17]

أهم محاور المسرحيّات:

1-التلميذ وحرق الكتاب: يتناول الكاتب في هذه القطعة المسرحية موضوعا هاما هو الكتاب، مشيرا إلى ظاهرة مؤسفة انتشرت في الوسط التربوي، ألا وهي ظاهرة حرق

الكتب عند نهاية كل سنة دراسيّة؛ فكثير من التّلاميذ يقومون بهذا الفعل الشنيع، متنكرين لفضائل هذا الصديق الوفي الذي لازمهم مدة تزيد عن ثمانية أشهر، وأفادهم بما فيه من معلومات، ولم يبخل عليهم بما يزخر به من كنوز معرفية؛ لكنهم يتنكّرون لفضائله ويديرون ظهورهم لمحاسنه. وبأسلوب سهل وسلس يعقد الكاتب حوارا بين الكتاب والتّلميذ الذي حاول حرقه؛ إذْ نطق هذا الأصم وما أنطقه إلا ما رآه من منكر، فاستشهد بحديث النبي صلى الله عليه وسلّم: "من رأى منكم منكرا فليغيّره"، واستطاع الكتاب بلسان حاله أن يقنع التّلميذ بالعدول عن قراره الشرير، فارعوى ووعى حجم الجرم، واقتنع أنّ "خيرَ جليسٍ في الأنام كتابُ".

2–الوقاية والعلاج: انطلاقا من المثل المشـــهور "الوقاية خير من العلاج" و "درهم وقاية خير من قنطار علاج" يعقد الكاتب حوارا متصـــوّرا بين الوقاية والعلاج، الذين أدليا بدلوهما، وبسط كلّ منهما حججه وبراهينه؛ ليؤكّد على أحقيّته، وفضله وسابقته؛ فالوقاية ترى أنّ لها قصـــب الســـبق؛ لأنّ الملتزم بها لا يحتاج إلى علاج وتطبب وتداوي، في دعوة من الكاتب إلى ضـرورة الحفاظ على النفس والجسـم، والابتعاد عن كلّ مواطن الشـرور والمضـرّة التي تقود إلى نتائج وخيمة، فالتلميذ مطالب بممارسـة النشـاطات الإيجابيّة، مثل: تنول الطعام الصـحي، وممارسـة الرياضـة، والنوم باكرا، والابتعاد على الآفات الاجتماعيّة، ومصـــاحبة الأخيار، وتجنب الأشـــرار، حتى لا يضـــطر إلى العلاج الذي يتضـــمّن بعض الطرق التي يخاف منها الأطفال ويفرّون منها، مثل: الحقن مثلا.

3–الثّورة والمدرسة: لا يتوقّف دور المدرسة عند تلقين صنوف العلم والمعرفة، وتقويم السلوكيات وتوجيهها؛ بل هي أكبر من ذلك؛ إنها وعاء يتّسع باتّساع الطموحات، ولها القدرة على حمل آمال الشـــعوب من خلال بث روح الوعي وغرس مبادئ الوطنيّة.

ويتناول الكاتب في هذه المسرحيّة دور المدرسة الجزائرية في الثّورة التّحريريّة الكبرى، من خلال شخصّية معلّم جزائري منخرط سرًا في صفوف الثورة التحريرية؛ إذ حمل هذا الرجل على كاهله مهمّة توعية التلاميذ الذين يدرّسهم، من خلال نسف الغشاوة الكاذبة التي ارتسمت في مخيّلات كثير منهم حول فرنسا التي كانت تقدّم نفسها في صورة الدولة الاستعمارية التي جاءت لترفع الجهل والتخلّف عن الجزائر؛ حيث أكّد لهم أنّ لغتهم هي اللّغة العربية لغة القرآن، ودينهم هو الإسلام الذين الذي ارتضاه الله لعباده، وأنّ الأعلام المرفوعة باللّون الأزرق والأحمر والأبيض، ليست أعلام بلادهم، فهي أعلام هذا المستعمر الغاشم.

وتتوتّر الأحداث حين يدخل مجموعة من العساكر الفرنسيين عنوة إلى القسم لاعتقال المعلم بتهمة دعم الثورة، فيلعب التلاميذ دور المنقذ؛ إذ دافعوا عنه وأنقذوه من الورطة التي وقع فيها، وأكدوا للعساكر أنّه كان يمدح فرنسا وبطولاتها وإنجازاتها في الجزائر. وبعد رحيل العسكر يودّع المعلّم تلاميذه، ويخبرهم بأنه عازم على الصعود إلى الجبال، داعيا إيّاهم إلى ضرورة الحفاظ على شعار "جزائرنا أعطيناك عهدا"، والعمل سرّا مع الحركة التّحريرية الوطنيّة، ودعمها بما يستطيعون، حتى يندحر فرنسا ويتحقّق حلم الاستقلال والانسلاخ من براثن المستعمر الغاشم.

4-قيمة الوالدين: بالنّظر إلى انتشار ظاهرة العقوق وتفشّيها، وتنكّر كثير من الأبناء لفضائل والديهم، يتناول الكاتب ظاهرة "الدخول المتأخّر من المنزل"؛ حيث إنها أصبحت عادة كثير من الأبناء العصاة الذين لا يقيمون لآبائهم وزنا، فيمضون أوقاتًا ثمينة في العبث واللهو، وربما في ممارسة بعض التصرفات القبيحة والمخزية، وتعاطي الممنوعات.

وقد حاول والدا هذا الطفل أن يتداركا وضعه قبل أن يسقط في هذا المستنقع، فقد أخذا عهدا على نفسيهما على لينصحاه ويوجّهاه نحو طريق الحق والرشاد. وفي ليلة

من الليالي غضب الولد وخرج من البيت ممتلئا غيظا، وتوجّه إلى الشارع، ثم قرر أن يزور أحد أصدقائه، ولحسن الحظ فإنّ هذا الصديق كان فاضلا، وديّنا وطيّبا ودمث الأخلاق، فقد لامه على فعلته، ونصحه ووعاه، وبيّن له المكانة الرفيعة لوالديه الذين سهرا وتعبا من أجله، ولم يبخلا عليه بالغالي والنفيس، وما صراخهما عليه إلّا دليل حب وعطف ورعاية، واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (الإسراء/23)، فاستجاب الولد للنّصيحة وعمل بها؛ إذ عاد إلى منزله وطلب العفو من والديه، ووعدهما بأنّ تصرفّاته السلبية لن تتكرر مجدّدا.

5–وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان: ما أعظم المعلّم، وما أعظم رسالته التي يؤديها، فهو المربي والموجّه، والأب الحنون، والصديق الشفيق، ومنبع العلم والمعرفة والأخلاق. وكل تلميذ هو حبيس فضل معلّمه الذي درّسه ورباه ووجّهه وقوّمه، ولا ينبغي له أن يتنكّر لهذا الفضل، وينسى هذا الإحسان، وفي هذه المسرحيّة يتناول الكاتب قصّة معلّم أصابه المرض، ولم يسمع بهذا الخبر الحزين تلميذه المجتهد، الذي استفسر منه والده، فأجاب بأنّه لم يسمع بخير مرض المعلّم، كما أنّه لا يرى داعيا لهذه الزيارة، فيخبره أبوه بأنّ هذا نكران للجميل، وإدارة ظهر لمن لا يدار له الظهر، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، ويؤكّد له فكرة أنّ اليتيم ليس يتيم الأبوين؛ بل اليتيم يتيم العلم والأدب مستشهدا بقول الإمام عليّ رضي الله عنه:

ليس اليتيم الذي قد مات والده ***إن اليتيم يتيم العلم والأدب

فمن فقد معلّمه وكان والداه غير متعلّمين، فمن يقوم بشأن تعلّمه وتربيته وتوجيهه؟ فأدرك الولد حجم الخطأ الذي وقع فيه والإساءة التي قام بها، وقرّر زيارة معلّمه والسّؤال

عن حاله، فيدخل البهجة والسرور عليه، ويخّفف عنه بعضا من ألم المرض، ويدخل الفرحة والسّرور في نفسه.

6-اللغة العربيّة: في خضم الواقع التعيس الذي تئن تحت وطأته لغة خير كتاب أنزل للنّاس، وتشدّق كثير من أهل هذا الوطن باللّغة الفرنسية، يعقد الكاتب حوارا متخيّلا بين هاتين اللّغتين؛ حيث تتبجّح اللغة الفرنسيّة بأنها لغة العلم والحضارة، لغة فولتير وموليير وراسين، وماري كوري وبوانكاريه وغيرهم، ولغة الحساب والهندسة والجبر والفيزياء والكيمياء، متّهمة العرب بالتبعيّة واستنساخ الأرقام اليونانيّة؛ لتردّ عليها العربيّة بأنّه لا فضل للفرنسية في كل ذلك، فقد كانت هذه العلوم سابقة الظهور، قبل أن تظهر هذه اللّغة نفسها، وتتفتق من رحم اللاتينية، ثمّ إنّ هذه العلوم التي تتبجّح بها، للعرب قصب السبق فيها، لكنّهم مرّوا بأحقاب من الهزال والضعف والانحطاط، فاستغل غيرهم الوضع، وسرقوا كثيرا من المعارف ونسبوها لأنفسهم، دون إحالة الفضل إلى أهله، وفي ما يخصّ قضيّة الأرقام فالأرقام اليونانية لا تقبل الضرب ولا القسمة ولذلك أهملت. أما أكبر دليل على فضل اللّغة العربيّة وشرفها وسموّها فهو كونها لغة خير كتاب أنزل للناس، فهي لغة الذكر الخالد الذي حفظه الله إلى أن يرث الأرض ومن عليها.

7-الأمير عبد القادر: إنّ الجهل بالتاريخ مصيبة عظيمة؛ بل طامة وكارثة، وللأسف فقد انتشرت هذه الظاهرة في أوساط شبابنا الذين لا يعرفون شيئا عن بطولات أجدادهم، فحتى إن عرفوهم فإنّهم لا يعرفون إلا أسماءهم وتغيب عنهم سيرهم التي تعدّ مدرسة ينبغي النّهل من معينها، والاستفادة من تجاربها. والأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري أحد الرموز الوطنية والثّورية التي كتبت أسماءها بحروف من ذهب في تاريخ هذا الوطن المفدّى. وكاتبنا المسرحي يتناول نبذة قصيرة مدارها إلى بعض الشيم التي تحلى بها هذا الرجل الفاضل، فقد جاء أهل العشائر يبايعون أباه الذي رفض البيعة؛ لأنّ سنّه كبر، وجسمه هزل، ولا يستطيع أن يتحمّل هذه المسؤولية العظيمة، فما كان

منهم إلّا أن توجّهوا إلى ابنه عبد القادر الذي رفض هو الآخر الإمارة، ثم قبلها مكرها تحت إصرار وإلحاح شيوخ العشائر. فتعاهدوا على قتال فرنسا ودحرها حتى آخر قطرة تجري في عروقهم، والقائد البطل عبد القادر لم يستأثر بالإمارة ويتنّعم بحلاوتها؛ بل كان مثل إخوانه جنديا في الميدان يحمل السلاح ويضرب به وجه العدو، ولا يبالي أن يقتل في سبيل الله مسلما مقبلا غير مدبر.

وتنتهي المعركة بانتصار الأمير الجزائري وجيشه، وأسر كثير من عناصر الجيش الفرنسي، بما فيه قائدهم الذي وقف بين يدي الأمير ذليلا ينتظر أن تضرب عنقه، لكن الأمير أحسن إليه وعامله بما تقتضيه سماحة الإسلام، وقد تعجّب العلج من تواضع الأمير وحسن تعامله مع جنوده الذين لا يختص نفسهم بشيء دونهم، ويعاملهم معاملة الإخوان، ثم أدرك أنّ سبب انتصاره هي هذه الروح القتالية العالية، والأخلاق الرفيعة والنبيلة. وفي محاولة يائسة لشراء ذمة الأمير بالمال يحاول العلج أن يقنعه بالاستسلام لفرنسا طوعا وعدم المقاومة مقابل المال والجاه، فيردّ سليل الكرام هذا العرض المخزي، وينهر القائد الفرنسي ويوّبخه، ويؤكّد له أنّ قتاله في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله محمّد رسول الله، فمصطلح الاستسلام غير موجود في قاموس الجزائري البطل الذي يقاتل عدوه بكل ما أوتي من قوّة، فإمّا النّصر، وإما الشهادة.

8-العلماء العرب والعلماء الغرب: واقعنا التعيس في هذا العصر لا ينفي نصاعة تراثنا الذي كان خصبا وثريا تزيّنه الإنجازات العظيمة التي خبت وخنست. وبالرّغم من أنّ بعض المنصفين من العلماء الغرب لا ينكرون فضائل العرب القدامى، إلّا أن كثيرا منهم يتنكّرون لهم، ويحاولون بكل وجه من الوجوه أن يقللوا ويقزّموا من حجم إنجازاتنا.

ويحاول الكاتب في هذه المسرحيّة عقد مناظرة علميّة متخيّلة بين مجموعة من العلماء العرب والغرب. وقد رصّع الكاتب هذه المسرحيّة بجملة من الآيات القرآنيّة في معرض ردّ الوفد العربي على الوفد الغربي، من بينها قوله تعالى:﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل/8)، فقد ردّوا بها على السّؤال المستفز والسّخرية المتعمّدة من الوفد الغربي الذي تبجّح بإنجازات الحضارة الغربية، وقوله تعالى: ﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ (البقرة/164)؛ حيث اتّهم الغربيون العرب بجهلهم صناعة السفن، وقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن/33)، للتأكيد على أنّ المسلمين يعرفون أنّه يمكن اختراق الفضاء، والوصول إلى القمر، وقوله: ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾ (الرحمن/20)، في تأكيد كون القرآن تحدّث عن وجود نهرين يلتقيان واحد مالح والآخر حلو، وقوله: ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾ (النبأ/6-7)، للدلالة على أنّ القرآن تحدّث عن أهميّة الجبال في تحقيق توازن الأرض منذ أربعة عشر قرنا.

كما حاول الكاتب بذكاء أن يؤكّد على فكرة وجود الخالق من خلال التنظيم المحكم لهذا العالم، وانتظام كلّ شيء بقدر، فلا الليل سابق النهار، ولا الشّمس مدركة القمر، مؤكّدا على لسان العلماء العرب استحالة أن يكون الإنسان هو المنظم لهذا الكون. وجنح إلى تمثيل أحقيّة هذا الوجود وفعليّته بكأس الحليب التي يمكن أن نستخرج منها مشتقات كثيرة (جبن، زبدة، سمن) ولكننا لا نستطيع تمييز هذه المكونات وإدراك من هذه الكأس؛ فكذلك هو الله عز وجل، لا تدركه الأبصار وهو يدركها. فتعالى الله عز وجل علوا كبيرا.

9-أهميّة الشجرة: للأشجار أهميّة كبيرة في هذا العالم، فهي التي تنظّف التربة، وتلطف الجو، وتحافظ على المناخ، وتزود الإنسان بالأكسجين، وتوفّر الغذاء والشفاء، وفوائدها

كثيرة وجمّة لا يمكن حصرها؛ لذلك تحتفل كثير من الدول باليوم العالمي للشجرة، ومن بينها الجزائر بتاريخ 21 مارس من كلّ سنة. وعن طريق نسج حوار بين الصديقين مصطفى ومحمد يحاول الكاتب أن يتناول هذا الموضوع؛ حيث يلفي مصطفى صديقه محمدا وهو يغرس شجرة، فيستغرب من فعله، ويتساءل عن الفائدة من ورائه، فيؤكّد محمّد لصديقه أنّه ينبغي عليه أن لا يعادي الأشجار؛ بل يجب أن يكون صديقا لها، ويحرص على رعايتها وحمايتها، فمهمّتها لا تتوقف في كونها حطبا يحرق ليُتدفّأ به؛ بل فوائدها جمّة وكثيرة، فهي تنتج ثمارا طيبة لذيذة تبني الأجسام، وتلطّف الجو وتمتص السموم، وتوفّر الظلّ الذي يحمينا من قيظ الأيام الحارة، ونصنع من خشبها النوافذ والأبواب والطاولات وغيرها. ويستشهد بحديث النبي صلّى الله عليه وسلّم "إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها"، (رواه أحمد). كما ختم مسرحيّته بالأبيات الآتية:

إحذر إحذر أن تقطع شجرة * إحذر إحذر أن تكسر شجرة**
إحذر إحذر أن تحرق شجرة ***إحرص إحرص أن تغرس شجرة
احرص إحرص أن تسقي الشجرة * احرص احرص أن تحمي الشجرة**

خاتمة: حاول الأستاذ سريو بوجمعة أن يربط بين الوظيفتين الإمتاعيّة الترفيهيّة والتعليميّة في مسرحيّاته المدرسيّة، وعليه فيمكن أن نسجّل جملة من النتائج التي نلخّصها فيما يأتي:

1–الأسلوب البسيط والمشوّق، واللّغة السهلة السلسة التي تستدر اهتمام الطفل وتسترعي انتباهه.

2– رسم المبدع نفسه من خلال نصوصه في صورة المعلم العدل، والمربي المتمكّن، والمثقّف الواعي، والوطنيّ المخلص الغيور على تاريخه ورموز وطنه، والعربي المعتز بعربيّته وقوميّته، والمسلم الفخور بإسلامه وقرآنه وسنّة نبيّه.

1-جاءت النصوص قصيرة، لا تتجاوز ثلاث صفحات على الأكثر، وهذا الأمر ينسحب أيضا على الشخصيات، مراعاة لحال المتلقين من الأطفال، حتى لا يضيعوا بين طول النصّ وكثرة الشخصيات فيتشتت انتباههم، وتضيع الفائدة المرجوّة من المسرحيّة.

2-تنوّع المواضيع وأهميّتها: (وطنيّة، دينيّة، تربويّة، اجتماعيّة، علميّة).

3-استخدام الشاهد وتنوّعه: (الشاهد القرآني، الشاهد من السنة، الشاهد من الشعر العربي، الأمثال والحكم، الشعر العربي، الشاهد العلمي).

4-تنوّع الحوار بين الحقيقة والخيال: (حوار بين الكتاب والتلميذ، بين الوقاية والعلاج، التلاميذ والمعلمين، أحمد وعبد الله، الأب والتلميذ، الفرنسيّة والعربيّة، الأمير عبد القادر والعشائر، الأمير عبد القادر والقائد الفرنسي، علماء الغرب والعلماء المسلمين، محمّد ومصطفى).

وتجدر بنا الإشادة بهذه التّجربة المسرحية الجيّدة التي ينبغي أن تعمم، ليستفاد منها، كما ينبغي تنظيم مثل هذه المسابقات على جميع المستويات من المستوى الابتدائي حتى الوطني، من أجل اكتشاف المبدعين، وتثمين إبداعاتهم، وتحفيزهم إلى مزيد من العطاء في رحلة شاقة نحو تطوير المسرح المدرسي الجزائري، والوصول به إلى المستوى العالمي.

كما يجب أن لا تبقى هذه المسرحيات حبيسة الأوراق والدفاتر؛ لأنّ المسرحيّة غير المجسّدة تشبه الطائر حبيس القفص؛ حيث يترهّل الإبداع فيها، ويتناقص بريقها شيئا فشيئا مع تقادم العهود والسنين، وتضيع الفائدة المرجوّة منها. وربما تمّ تناسيها ورميها في سلّة النسيان. وإلى أن تتحقّق إرادة فعليّة للنهوض بالمسرح المدرسي الجزائري، ستبقى الأعمال الإبداعيّة في هذا المجال تندب حظّها، وتحلم بالصعود على

خشبة المسرح كي تحلّق كطائر حرّ يرفرف بجناحيه، وتخرج من شرنقة الأوراق إلى خشبة الواقع.

الهوامش

1–مجيد صالح بك، تاريخ المسرح عبد العصور، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2002م، ص: 22.

2–محمود خليفة، المسرح المدرسي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط1، 2007م، ص: 3.

3–ينظر: إيمان البقاعي، المتقن في أدب الأطفال والشباب، دار الراتب بيروت، دط، دت، ص: 267.

4–محمد خضر، تجربتي في المسرح المدرسي، ذات السلاسل، الكويت، أغسطس 1992م، ص: 24.

5–عيسى عمراني، المسرح المدرسي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006م، ص: 14.

6–محمد إسماعيل الجاويش، الأساس في الأنشطة التربوية، حورس الدولية للنشر، الإسكندرية، ط1، 2007م، ص: 46.

7–محمد خضر، تجربتي في المسرح المدرسي، ص: 24.

8–ينظر: ناجي أحمد ناجي، المسرح المدرسي وسيلة تعليمية، (دن)، الإسكندرية، ط1، 1980م، ص: 5.

9–ينظر: محمد مندور، المسرح النثري، دار المعارف، القاهرة، 1959م، ص: 5.

10–ينظر: حسني عبد المنعم محمد، المسرح التعليمي دوره التربوي، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1، كفر الشيخ، 2008م، ص: 44.

11– ينظر: ناجي أحمد ناجي، المسرح المدرسي وسيلة تعليمية، ص: 14.

12–ينظر: وينفرد وارد، مسرح الأطفال، تر: محمد شاهين، الدار المصرية للتأليف والطبع والنشر، القاهرة، 1966م، ص: 12.

13–ابتسام عبد المنعم، مسرح الطفل عند حسام عبد العزيز، رسالة ماجستير، قسم الأدب والنقد، كلية البنات الإسلامية بأسيوط، جامعة الأزهر، مصر، 1438هـ–2017م، ص: 87.

14– محمد خضر، تجربتي في المسرح المدرسي، ص: 25–26.

15– ينظر: المجلس الأعلى للغة العربية، نصوص مسرحية للأطفال، منشورات المجلس، الجزائر العاصمة، 2009، ص: 35–76.

16–المرجع نفسه، ص: 37.

17– ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.